حكومة الشارقة - دائرة الشؤون الإسلامية

تكريم المرأة
في الإسلام

من إصدارات
دائرة الشؤون الإسلامية

تكريمُ المرأةِ في الإسلام

إعداد: قسم الوعظ

دائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

كلمة رئيس الدائرة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن المرأة هي نصف المجتمع، بل هن شقائق الرجال، كرمها الإسلام وأعلى شأنها وبوأها المكانة اللائقة بها كل ذلك ثابت في قرآننا وسنة نبينا ﷺ.

ولأهمية الموضوع كانت هذه الرسالة لتوضيح بعض جوانب ذلك التكريم في مراحل حياتها وهي بنت أو أخت أو زوجة أو أم، فهي لن تجد سعادتها الكاملة إلا في ظل الإسلام وفي هدي رسول الإسلام ﷺ.

صقر بن محمد القاسمي

رئيس الدائرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خالقِ الإنسان جعل الإسلام خاتم الأديان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لقد كرم الله المرأة في دين الإسلام، ورفع قدرها، وأعلى مكانتها بما لن تجدها في دين سوى الإسلام، والحديث عنها حديث عن نظام الحياة في الإسلام، وعن دين متكامل شرعه الله للبشرية؛ كي تحيا حياة هانئة مطمئنة، إذا طبق المسلمون الإسلام بحذافيره، ومارسوه واقعا، وعاشوه أخلاقا وسلوكا، من خلال القرآن العظيم قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ

جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

ومن خلال سنة النبي ﷺ وهديه وإرشاداته، قال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»(١).

فالله القدير هو خالق الإنسان، وهو اللطيف الخبير بتكوين الرجل والمرأة، وجاءت التشريعات الربانية لأجل سعادة بني الإنسان.

والمسلمون في كل بقاع الأرض - بفضل الله - يلتمسون أثر الإسلام في حياتهم، ويشعرون به.

---

(١) رواه مالك في الموطأ بإسناد حسن.

ولا زالت المرأة في مجتمعات المسلمين لها قيمتها واعتبارها، بينما لا تجد ذلك عند المجتمعات غير المسلمة.

بل إن المسلمين حقا، يرون أن تكريم الإسلام للمرأة ومكانتها العالية فيه، أمر طبيعي بدهي لا يحتاج إلى كلام؛ فهو من المسلمات لديهم، وإن حصل تقصير في حق المرأة عند بعض المسلمين أو بعض المنتسبين إلى الإسلام؛ فإنما هو بسبب الجهل أو بسبب البعد عن تطبيق شرائع الدين، والإثم في ذلك على من أخطأ، والإسلام بريء من تلك التصرفات الفردية.

ولماذا اتهام الإسلام، ولا نتهم أمما معاصرة وثقافات وافدة، أضاعت المرأة، وحرمتها نعمة الأنوثة، ونعمة

وجودها في مجالها الطبيعي، تنجب الأبناء، وتربي الأجيال، وتؤنس الرجال بما تسكن إليه نفوسهم وتنمو به عواطفهم الأسرية؛ فيذوقوا طعم الحياة، ويشعروا بالطمأنينة والسعادة، حين يأوي الرجل إلى ذلك المهاد الهادىء، ينسيه العناء ويمهد له طريق المستقبل، وتكون المرأة في ذلك قريرة العين، هانئة البال، حانية القلب، ساكنة النفس، سواء أكانت بنتا أو أختا أو أما أو زوجة، تؤدي رسالتها التي وجدت من أجلها.

لقد حولت بعض الحضارات المرأة إلى سلعة رخيصة، وحرموها من تلك المعاني النبيلة باسم الحرية والمساواة.

ولم تجن المرأة في تلك المجتمعات، أو تلك التي تسعى في تقليدها والتشبه بها من نسائنا المسلمات، إلا العناء والشقاء والندم.

ولو كانوا يريدون لها الخير حقاً، لرسموا لها نهج الإسلام وطريقه، الذى تكفل بحقوقها وضمن لها المساواة وزيادة، مما يجعلها تنعم بالحياة دون شقاء، وتحفظ كرامتها دون ابتذال.

* * *

نظرة سريعة لحال المرأة قبل مجيء الإسلام

هذه النظرة مهمة؛ لكي نعرف فضل الله علينا بدين الإسلام، ولتستشعر المرأة أن في عنقها دَيْناً لذلك النبي الأمي ﷺ الذي جاء بحقوقها وكرامتها، والذي بُعِث ليتمم مكارم الأخلاق[1]، وليخرجنا من الظلمات إلى النور.

فقد كانت المرأة فيما سبق من المجتمعات والأمم، التي لا تدين بدين الإسلام، وحتى العرب في الجاهلية قبل الإسلام، كانت تَحُط من قدر المرأة، على

---

(١) قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: (٢٧٣)، وحسّن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: (٤٥).

اختلاف أساليبها في إهانة المرأة، وهذا مؤكد عبر الدراسات التاريخية لتلك المجتمعات.

وخلاصته: أن المرأة كانت لغزا محيراً، وشيطانا رجيما، بل بالغ رجال الكهنوت في إهدار شأن المرأة حتى قالوا: هل هي إنسان له روح ؟ وهل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟ وهل تدخل الجنة وملكوت الآخرة؟ وفي عام: (٥٨٦م) قرر مجمع (نيكون): بأن المرأة جسد به روحٌ دنيئة، واستثنوا مريم العذراء فقط لأنها أم المسيح عليهما السلام.

وبعض الطوائف، كانوا ينظرون إلى المرأة على أنها أصل الشرور، ومنبع الآثام، ولا ترث شيئا، بل كانوا يعتبرونها نجِسة أيام حيضها فلم يؤاكلوها، ومن لمسها يكون نجسا.

وحتى عند العرب في الجاهلية، كانوا يعاملون المرأة معاملة سيئة، بسبب الانحراف الواقع في عقائدهم وتصوراتهم.

يعدّونها من سَقَط المتاع، ليس لها حقوق إنسانية، بل تورث كما يورث المتاع، ويجمع الرجل إليها ما أراد من النساء، ويطلق متى شاء أن يطلق بلا عدد، وإن مات زوجها اعتدت في مكانٍ لا ترى النور فيه، ولا تمس ماء حولا كاملا.

فجاء الإسلام ليرفع عنها هذا كله، ويردها إلى مكانها الطبيعي الفطري كما أراد الله، وليرد إليها اعتبارها ويضمن لها حقوقها، ويكرمها تكريما ليس فوقه تكريم، ويحفظ مكانتها ودورها في المجتمع، أُمّاً وبِنْتاً وأُخْتاً وزَوجة.

تكريم الإسلام للبنت

كانت ولا تزال قضية البنات – إلى عصرنا الحاضر – تُشكل حيزاً فكرياً واجتماعياً، وكم تُظلم في سبيلها الأم مَتّهَمَةً بأنها السبب في إنجاب البنات، والأم المسكينة لا دخل لها في كونها تُنجب ولداً أو بنتاً، إنما هي حَرْث الرجل، تعطيه ما يَزرع في حرثه.

وفي الجاهلية كانوا يتشاءمون من البنات، ويحزنون لولادتهن

ويشعرون بالعار قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

والغريب العجيب أن بعض المسلمين والمسلمات، إلى وقتنا الحاضر، يكرهون أن تَلد المرأة بنتا، ويفضلون الولد! وكأنهم لم يسمعوا بالآية الكريمة.

لقد بالغ الإسلام في الإنكار والتشنيع على عادات الجاهلية، ومنها دفن البنات وهن أحياء قال ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: ٨-٩].

بل أمر الإسلام بتكريم البنات، وحسن صحبتهن، والعناية بهن ورغب في الإحسان إليهن ورحمتهن.

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ وُلِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ، فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - يَعْنِي الذَّكَرَ - أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ»(١).

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح.

وقال ﷺ: «مَنْ عَالَ[1] جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ»، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ[2]. ومعناه: جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين.

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، - أي: من ماله - كُنَّ لَهُ حِجَابًا يوم القيامة مِنْ النَّارِ»[3].

وهذا يدل على فضل الإحسان إلى البنات والقيام بشئونهن رغبة فيما عند الله عز وجل؛ فإن ذلك من أسباب دخول الجنة والسلامة من النار، ويُرجى لمن

---

(١) ومعنى عال: أي قام عليها بالمؤنة والتربية ونحوهما.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والبيهقي وصححه الألباني.

عال غير البنات من الأخوات والعمات والخالات فأحسن إليهن؛ أن يحصل له مثل ذلك الأجر، وفضل الله واسع، ورحمته عظيمة، وهكذا من عال بنتا واحدة أو اثنتين كما يدل على ذلك عموم الآيات والأحاديث في الإحسان.

كل هذه التوجيهات النبوية إرشادٌ للوالدين، وتذكيرٌ بحق البنات، وضرورة رعايتهن رعاية خاصة، وتنشئتهن على الحشمة والعفة والفضيلة، فهن أمهات المستقبل وحاضنات الأجيال.

الأم مدرســـةٌ إذا أعدَدْتَـــها
أعددْتَ شعباً طيبَ الأعراق

فلا مجال لتفضيل الولد على البنت، أو الذكر على الأنثى، فكلاهما خلق الله، بل ربما نفعت البنت أبويها أكثر من الولد في بعض الظروف.

ولنا في امرأة عمران عبرة، إذ نذرت لله ما في بطنها محرراً، وكانت تطمع أن يكون ولداً يخدم المعبد، ولكن انظر؛ ما الذي اختار الله لها، قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران].

لقد اختار الله لها الأنثى، وليس الذكر الذي تمنته كهذه الأنثى التي رزقها الله بها؛ لأنها كانت آية؛ إذ جاءت بعيسى عليه السلام بدون زواج.

تكريم الإسلام للأخت

وأيضا كرم الله المرأة أختاً، وأعطاها حقوقها قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ [النساء: ١٧٦].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كان له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخَواتٍ، أوْ بِنتانِ، أو أُخْتانِ، فأحْسَن صُحبَتُهنَّ واتَّقى الله فيهِنَّ؛ فله الجَنَّةُ»[1].

وعند أبي داود بلفظ: «فأدَّبهنَّ وأحسَن إليْهِنَّ وزوَّجَهُنَّ؛ فله الجَنَّةُ».

تكريم الإسلام للزوجة خصوصاً وللمرأة عموماً

وأما باعتبارها زوجة، فإن مجال تكريمها واسع، وقد أخذتْ حيزاً كبيراً في نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية، وفي مختلف مراحل حياتها الزوجية.

(١) رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

فعند خطبتها؛ احترم الإسلام مشاعرها، فلا تُزَوّج إلا بعد استشارتها وموافقتها، قال عليه الصلاة والسلام: «شَاوِرُوا النِّسَاءَ فِي أَنْفُسِهِنَّ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْبِكْرَ تَسْتَحِي قَالَ: «الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا، وَالْبِكْرُ رِضَاهَا صَمْتُهَا»[1].

واكتفى أن تسكت البكر، إبقاء على حيائها، واستحيائها من التصريح، فإذا تمت الموافقة، أوصى بحفظ حقها في المهر، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾[2] [النساء: ٤].

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه، قال الألباني: "سنده صحيح".

(٢) النحلة – بكسر النون وضمها – أصلها العطاء، يقال: نَحَلَهُ كذا: أعطاه، فالصّداق عطية من الله للمرأة.

في هذه الآية الكريمة؛ يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يعطوا النساء مهورهن فريضة منه تعالى، فَرَضَها على الرجل لامرأته، وحرّم أكل شيء منه عن غير رضاها، ولا يكون إلا بطيب نفس، قال ﷻ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: ٤].

فالإسلام حفظ حق الزوجة في المهر الذي يدفعه الزوج، فلا يجوز لأحد أخذه أو الاستيلاء عليه، سواء كان أباً أو أخاً أو ولياً، إلا ما سمحت به هي عن طيب خاطر، وهذا جزء يسير من تكريم الإسلام لها، بإعطائها حقها في التملك، والتصرف في مالها وفق الضوابط الشرعية، بل لا يجوز للزوج التصرف في أموالها، أو راتبها الشهري إلا بإذنها.

وفي بداية العشرة الزوجية: أوصى بالإحسان إليها، بل إنّ المعاملة والمعاشرة بالمعروف؛ إحدى الأوامر الإلهية التي لا يسع الزوج مخالفتها، لوجوبه عليه قال الله ﷻ آمرا الأزواج: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وأرشدَ النبي ﷺ الرجل إلى حُسن معاملة المرأة، وأن يفهم طبيعتها، ولا يستعجل في الغضب والإساءة إليها، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»(١).

(١) رواه مسلم، ومعنى لا يفرك: أي لا يبغض.

بل الإسلام كرم المرأة، حين أنقذها من أيدي أولئك الذين يزدرون مكانتها، ويحطون من قدرها، وأقام لها سياجا بينها وبين ما يخدش كرامتها بسوء.

وجاءت أحاديث النبي ﷺ بتخصيص النساء بالوصية، في أكثر من مناسبة، بل حتى في أكبر تجمع بشري يوم الحج الأكبر، وهو يخطب في الناس قائلا: «ألا واسْتَوْصوا بالنساءِ خَيْراً، فإنما هنَّ عَوانٍ عندَكم»[1].

وقال ﷺ في حديث آخر: «وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي

(١) رواه الترمذي، ومعنى "عوان"، أي: أسيرات محبوسات بقيود الزوجية.

الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[1].

وبعض الناس قد يفهمون خَلْق المرأة من ضلع أعوج على غير المراد، وربما قصدوا اللمز والذّم وتعيير المرأة بذلك، وهذا خطأ، بل إن جميع الصفات الحسنة من العاطفة والحنان، وغير ذلك، كامن في طبيعة المرأة، وهي جزء من خلقتها وفطرتها.

على أن المرأة أحيانا، قد تجعل الحليم حيرانا، بسلوكها وتصرفها، منساقة وراء هوى النفس، أو الشيطان، الذي يستغل طبيعتها وخاصة عاطفتها القوية؛ حتى يُضلّها ويُبعدها عن الحق، ويطمس

(١) رواه مسلم.

صفات الفطرة الحسنة فيها، فتظهر صفات سيئة للعوج، في خلقها وكلامها وتفكيرها، وهذا هو معنى تشبيه النبي ﷺ المرأة بالضلع، وأن الاعوجاج من أصل خلقتها.

وقيل في معنى الحديث: «وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ» المقصود أعلى المرأة، وهو رأسها، وفيه لسانها، وهو الذي ينشأ منه الاعوجاج[1].

ولا شك أن في هذا تنبيها لأنْ تحفظ المرأة لسانها من الشتم وغير ذلك.

(١) انظر: نيل الأوطار للشوكاني ج٦ ص٢٤٤.

لذلك يقول ﷺ حاثا النساء على الصدقة: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ـ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ ـ فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»(٢).

والمقصود أن الحديث الذي يصف المرأة بالاعوجاج إنما صدر على سبيل توصية الرجل بالمرأة خيرا، ورعايتهن والاغضاء عما قد يقع منهن من هنّات.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

لذلك على الرجل، أن يكون على بصيرة من هذا الإنسان، الذي يتعامل معه بصفه مستمرة، لأن النبي ﷺ أخبر أن المرأة لن تستقيم على ما يريد الرجل، لذا فهي تحتاج إلى أسلوب في التعامل ودقة في التقويم، تشبه عمل الصائغ الذي يقوم بصقل قطعة من الجواهر يخشى عليها الكسر، وكذلك المرأة يحصل تقويمها برفق وعناية مع الاحتفاظ بعوجها الطبيعي، ومن طمع في استقامتها فاته الاستمتاع بها، لأن الاستمتاع بها لا يكون إلا مع عوجها، أي بالصبر على عوج أخلاقها، واحتمال ضعف عقلها والعفو عن زلاتها.

وإن ما يراه الزوج من عوج في امرأته، مقارنة بنفسه؛ فلعله لمصلحته هو، بصفته زوجا وقيما وسيداً عليها .. فقد يكون اعوجاجها ونقصان عقلها

ودينها هو الذي يجعلها طوع يديه وتابعة له، وتعطف عليه وعلى أولاده وتقوم على خدمتهم، ولو قوّم ما بها من عوج ونقصان؛ لبعدت عن الأنوثة، واقتربت من الذكورة، وتسلطت عليه وجعلته تابعا لها.

كما هو الواقع أحيانا، وخاصة في أوساط أولئك المتأثرين بالانفتاح الإعلامي، والغزو الفكري، والأفلام والمسلسلات، حتى صدق فيهنّ قول الشاعر:

هِيَ الضِّلْعُ الْعَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيمُهَا
أَلا إِنَّ تَقْــوِيمَ الضُّــلُوعِ انْكِسَــارُهَا
أَتَجْمَعُ ضَعْفًا وَاقْتِدَارًا عَلَى الْفَتَى
أَلَيْسَ عَجِيبًا ضَعْفُهَا وَاقْتِدَارُهَا![1]

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج٤ ص٧٧.

المرأة ناقصة عقل ودين.. هل يضرها

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ».

فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ». قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى.

قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ»، قُلْنَ: بَلَى.

قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا» (١).

بين عليه الصلاة والسلام أن نقصان عقلها من جهة ضعف حفظها، وأن شهادتها تجبر بشهادة امرأة أخرى؛ وذلك لضبط الشهادة بسبب أنها قد تنسى فتزيد في الشهادة أو تنقصها كما قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وأما نقصان دينها؛ فلأنها في حال الحيض والنفاس تَدَعُ الصلاة، وتَدَعُ الصوم، ولا تقضي الصلاة، فهذا من نقصان الدين، ولكنها غير مؤاخذة على هذا النقص، وإنما هو حاصل بشرع الله ﷻ، فهو الذي شرعه رفقا بها، وتيسيرا عليها؛ لأنها إذا صامت مع وجود الحيض والنفاس يضرها ذلك.

إذن لا يمكن والحالة هذه – من العوج الفطري، ونقصان العقل والدين، وما يعتريها من العوارض الطبيعية، من الحمل والولادة والحيض والنفاس – أن تستقل بالتدبير والتصرف.

قوامة الرجل ورعايته للمرأة

لذا كرمها الإسلام بأن جعل لها حقوقا، وجعل الرجل قيما عليها ومسؤولا عنها، يحوطها بعنايته وعطفه ورعايته لها، ويصون كرامتها وينفق عليها من ماله، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤].

قال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله -: "ولا ينازع في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام الفطرة إلا جاهل أو مكابر، فهو أكبر دماغا، وأوسع عقلا، وأعظم استعدادا للعلوم وأقدر على مختلف الأعمال"[1].

---

(١) مجلة المنار، عدد ٣٢ ص٣٥٢.

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي بعد أن ذكر بعض الأدلة على فضيلة الذكر على الأنثى: "فَإِذَا عَرَفْتَ .. أَنَّ الْأُنُوثَةَ نَقْصٌ خِلْقِيٌّ، وَضَعْفٌ طَبِيعِيٌّ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّحِيحَ الَّذِي يُدْرِكُ الْحِكَمَ وَالْأَسْرَارَ، يَقْضِي بِأَنَّ النَّاقِصَ الضَّعِيفَ بِخِلْقَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ نَظَرِ الْكَامِلِ فِي خِلْقَتِهِ، الْقَوِيِّ بِطَبِيعَتِهِ ؛ لِيَجْلِبَ لَهُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى جَلْبِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ مِنَ الضُّرِّ"(١).

وهنا لا بد من نصيحة للأزواج –وخاصة الشباب – حيث يظن كثير منهم – بسبب تأثير وسائل الإعلام المضللة – أن المرأة هي صاحبة الآراء النيرة

(١) أضواء البيان ج٣ ص٢٥.

والأفعال الحكيمة والتصرفات السديدة والحصيلة العلمية، فكم تخيب ظنونه عندما يعاشر زوجته وقد يجدها ليست على الحالة التي كان يظنها – إلا ما ندر والنادر لا حكم له – ويجدها خلاف الصورة المرسومة في مخيلته عن المرأة، ويظن أن هذا النقص خاص بزوجته فقط، وأنها دون المعدل العام لمستوى النساء، وأنه أخطأ في اختيارها، فلا يصبر عليها، وقد يكره زوجته، فيؤثر على سعادته الزوجية، لاسيما إن وجد فيها سلبيات جبلت عليها، كالغيرة والحسد ومحاولة الاستحواذ عليه وعزله عن مجتمعه، أو حبها للزينه والمظاهر، وما إلى ذلك.

إنّ ردة فعل الزوج هذه، نتيجة لعدم علمه المسبق بنفسية المرأة وطبيعتها، وبسبب تضليله بالصورة

الخاطئة التي رسمتها له بعض وسائل الإعلام، وقلة اطلاعه بالشرع.

فالأحاديث النبوية الشريفة تصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين، ويعني ذلك أنهن – في الغالب – تتغلب عليهن عواطفهن على عقولهن، لما جبله الله تعالى في نفوسهن من فرط العاطفة، كي يؤدين رسالتهن في الحياة كما تقدم معنا، ولكن هذه العاطفة، قد تجنح بالتفكير العقلي لديهن، وتخلق لهن من الاهتمامات ما تغاير تلك التي تهم الرجل وتستهويه.

لذا ليس من طبع الرجل الكريم، أن يستغل ضعف زوجته فيعاملها بموجبه، أو ينفر منها بسببه، كذلك لا يستغل مكانته وقوامته عليها بتفضيل الله

إياه، أن يظلمها أو يعتدي عليها، أو يضربها بلا مسوغ شرعي.

عندها جعل الإسلام لها كامل الحق في رد اعتبارها؛ فتشكوه إلى أوليائها، أو ترفع أمرها للحاكم أو القاضي؛ لأنها إنسان مكرم.

مسألة ضرب الزوجة وما يثار حوله

الإسلام حين أذن بضرب الزوجة الناشز، لم يأذن بالضرب المبرح الذي يفعله بعض مجانين الرجال، فليس المقصود بالضرب هو التعذيب أو الإهانة أو الانتقام، كلا والله، وإنما هو ضرب لحاجة التأديب، دون قسوة أو إهانة يستعمل شيئا أقرب لعود السواك، ويأتي كأسلوب علاج بعد أسلوب الوعظ

والهجر قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

لكن الذين يجهلون هداية الإسلام وحكمة مشروعية الضرب للتأديب، يعكسون الأمر، ويلبسون الحق بالباطل، ويلصقون التهم بالإسلام وأنه أهان المرأة وظلمها، ولكن الحقيقة تقول غير ذلك، وخاصة لو فتشنا في الإحصائيات التي تؤكد وحشية وشراسة الآخرين، الذين يلمزون الإسلام والمسلمين بالعنف.

قالت "جانيس مور" – وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي بأمريكا–: "إننا نقدر

بأن عدد النساء اللواتي يُضربن في بيوتهن كل عام يصل إلى ستة ملايين امرأة، تكون الإصابات ما بين كدمات وكسور وطعن بالسكاكين وطلقات نارية وهناك مئات من الهاربات بسبب عنف وضرب أزواجهن"[١].

وجاء في كتاب "ماذا يريدون من المرأة" ما يلي:

ضرب الزوجات في اليابان هو السبب الثاني للطلاق، وفي لندن تستقبل الشرطة وحدها مئة ألف مكالمة سنويا من نساء يضربهن أزواجهن، ومئة ألف ألمانية يضربهن أزواجهن، ومليونا فرنسية[٢].

إذا تقرر ما سبق، وعلمنا واتضح لنا، عظم شأن القوامة — قوامة الرجل على المرأة — وأنها بأمر الله، وأنها

(١) انظر كتاب: المجتمع العاري بالوثائق والأرقام، ص ٥٦-٥٧.

(٢) ماذا يريدون من المرأة لعبدالسلام البسيوني ص ٣٦-٦٦.

توافق الفطرة السوية والعقول السليمة، فلا بأس أن نستأنس بكلام بعض الغربيين، ممن اكتووا بنار البعد عن منهج الله في رعاية الأسرة ونظام الحياة، ليكونوا عبرة لمن لا يزال يريد تقليدهم في أنماط حياتهم.

الزعيمة النسائية الأمريكية "فليش شلافي" دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها.

وتقول الكاتبة الإنجليزية المشهورة "أجاثا كريستي": "إن المرأة الحديثة مغفلة؛ لأن مركزها في المجتمع يزداد يوما بعد يوم، فنحن النساء نتصرف تصرفا أحمق؛ لأننا بذلنا جهدنا خلال السنين الماضية للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل،

والرجال ليسوا أغبياء فقد شجعونا على ذلك، معلنين أنه لا مانع مطلقا من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج، ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف، أننا نعود اليوم لنساوي الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده".

وتقول طبيبة نفسية أمريكية: "أيما امرأة قالت أنا واثقة من نفسي، وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها".

تعدد الزوجات

ومن محاسن دين الإسلام وتكريمه للمرأة أن أباح للرجل أن يعدد وليس بواجب، فيتزوج أكثر من واحدة، بشرط أن يعدل بينهن في النفقة والكسوة

والمبيت، لما في هذا التشريع من الحِكم العظيمة والمصالح الكثيرة لجميع الأطراف، ولو كره المعترضون والطاعنون في الإسلام؛ لأن الذي أباح التعدد هو الله عزو جل خالق البشر، وهو أعلم بمصالح عباده، وأرحم بهم من أنفسهم.

وما أكثر ما كُتب في هذا الموضوع، في بيان مزايا وحكمة التعدد، فليرجع إليه من أراد الاطلاع، وهذا الكتيب الصغير لا يحتمل الاستطراد في خوض غمار هذا الموضوع المستفيض، ولكن نطرح أسئلة يجيب عليها كل عاقل:

أيهما أفضل للمرأة أن تكون في رعاية رجل يقوم بشئونها، فتطمئن نفسها وترزق الأولاد أم تجلس بلا زواج؟

وأيهما أفضل للمجتمعات أن تعيش في ظل التراحم والتكاتف والطهر والعفاف ويسلم من تبعات العنوسة، أم يخالف المنهج الرباني فيقع فيما حرم الله؟ لا شك أن العقلاء سيجيبون بالأول.

يقول الفيلسوف الفرنسي "غوستاف لوبون"، وهو يفند مزاعم بني قومه التي يتشدق بها بعض أبناء المسلمين: "ولا نذكر نظاما أنحى الأوربيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات، كما أننا لا نذكر نظاما أخطأ الأوربيون في إدراكه كذلك المبدأ ... مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقوم به ويزيد الأسرة ارتباطا، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوربا".

ويقول: "لا أرى لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين، أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوربيين".

والشريعة لم تجعل نظام التعدد فرضا لازما ولا أوجبت على المرأة أن تقبل به، ولولا أن الناس يدركون منافعه لما أقدموا عليه ولا قبلوا به، فأين إهانة المرأة في التعدد، كما أن الشريعة أوجبت على الرجل أن ينفق على جميع زوجاته ويعدل بينهن كما أشرنا آنفا.

حقها من الميراث

ومن تكريم الإسلام للمرأة أن جعل لها نصيبا من الميراث، فالأم والزوجة والأخت والبنت، لكل منهم

نصيب بالتفصيل، حيث تولى ربنا الحكيم العليم، بنفسه قسمة الميراث في كتابه العزيز

فكيف للجهلة من البشر، بعد ذلك أن يظنوا أن الإسلام ظلم المرأة، بجعل نصيبها نصف نصيب الرجل.

لنفترض أن رجلا مات، وخلف ابنا وبنتا، فأخذ الابن ضعف نصيب أخته، ثم تزوج الابن، فأصبح مطالباً بالمهر والنفقة والسكن.

في حين لو تزوجت البنت، فأخذت مهراً ونفقة وليست مطالبة بشيء، ألا يدرك العاقل، أن إعطاء الرجل ضعف نصيب الأنثى من الميراث، هو العدل والإنصاف والحكمة، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

تكريم الإسلام للأم

دين الإسلام جعل للأم مكانة خاصة، ووضع لاحترامها وحبها وتقديرها منهجا من خلال القرآن وسنة خير المرسلين ﷺ، ورتب عليه أعظم الأجر في الدنيا والآخرة، وجعل بر الوالدين من أفضل القربات.

بل جعله قرينا بالأمر بعبادته وحده سبحانه وتعالى، فقال ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

والنبي ﷺ جعل رضى الله في رضاهما، قال عليه الصلاة والسلام: « رِضَا الرَّبِّ في رَضَا الوَالِدَيْنِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِهِمَا»[1].

فأين هذا من تكريم البشر الذين خصصوا للأم يوما واحدا في العام يتذكرونها فيه، وربما نسوها بعد ذلك، ويحتفلون بوجودها بينهم ويسمونه "عيد الأم" ويزعمون أنهم بذلك يدخلون عليها الفرحة والسعادة في قلبها، بينما الإسلام دعا إلى إسعاد الأم ما دام قلبها ينبض بالحياة.

وتاريخ المسلمين حافل بقصص أولئك البررة من السلف الصالح، الذين ضربوا أروع الأمثلة في البر

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع.

والمرحمة، حتى إن أبا هريرة ﷺ ذلك الصحابي الجليل كان لا يعلو سطح بيته وأمه تحت، احتراما لها وبرا بها، وغير ذلك من الأمثلة التي يضيق المجال لسرده.

عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَلِكَ الْبِرُّ، كَذَلِكَ الْبِرُّ» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ [1].

وأكتفي هنا بذكر حديثين عظيمين للدلالة على مكانة الأم وتكريم الإسلام لها:

(١) رواه أحمد والحاكم بإسناد صحيح.

الحديث الأول: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ، أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ.

فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا»(١).

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنّه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟

قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ:«ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ:«ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ:ثُمَّ مَنْ؟

---

(١) رواه النسائي والحاكم وأحمد وهو حديث صحيح.

قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[1].

ومع هذه المكانة للأم، إلا أننا ننصح الأم بأن تكون قدوة صالحة لأبنائها وزوجات أبنائها؛ فلا تتسلط عليهم بالرأي، بل تكون عونا لهم على برها وتكون الأم سببا في التواصل والتقارب والتآلف بين أفراد العائلة والأنساب والأصهار، فتعم السعادة وراحة البال، ولا تكون سببا في تعاسة أبنائها وبناتها بقسوة المعاملة وكثرة الشروط والطلبات المجحفة.

الخاتمة:

(١) رواه البخاري ومسلم. وفي زيادة «ثم أدناك أدناك».

هذه هي مكانة المرأة وتكريم الإسلام لها، على سبيل الاختصار، فالحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

فأين النظم الأرضية من ذلك النظام السماوي، أين الحضارة المعاصرة التي تتشدق بحرية المرأة، وهي في الحقيقة سلبت كرامتها وحقوقها، وأعطتها حرية الانفلات من الضوابط الدينية.

هل يريدون للمرأة بذلك السعادة والتكريم أو الشقاء والإذلال؟!

وهل إسعاد المرأة يكون في بعدها عن خالقها الله عز وجل؟!

وهل إسعادها يكون بمخالفتها لربها في الحجاب والحشمة؟!

وما العلاقة بين التطور والتعليم وبين التبرج وإظهار المفاتن؟ فهل أصبحت الملابس من وسائل التعليم؟!

ولماذا التركيز على الجميلة دون التي أقل جمالا أو الكبيرة ؟!

أما المرأة في الإسلام فهي المكرمة على الدوام، من يوم ميلادها إلى آخر عمرها، وكلما تقدم بها السن زاد تقديرها واحترامها، وعظم حقها، وتنافس أولادها وأقاربها على برها والإحسان إليها والوقوف بجانبها، رعاية تذمما، وعطفا وترحما، لأنها أدت رسالتها في الحياة، وبقي الذي لها عند أبنائها وأحفادها وأهلها ومجتمعها.

بهذا يتبين لنا أن سعادة المرأة وكرامتها في الإسلام، وفي قربها من ربها، وضياعها في ابتعادها عنه سبحانه.

* * *

المراجع

١. نظام الأسرة في الإسلام، مجموعة من الأساتذة، مكتبة الفلاح.

٢. وصايا الرسول ﷺ فضيلة الشيخ / عطية محمد سالم، دار الهجرة.

٣. مجلة المنار لمحمد رشيد رضا.

٤. ماذا يريدون من المرأة لعبدالسلام البسيوني.

٥. أضواء البيان للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦. المجتمع العاري بالوثائق والأرقام، اسم الناشر غير معروف.

٧. ماذا عن المرأة، د. نور الدين عتر، دار الفكر.

٨. دليلك إلى المرأة، أ. عدنان الطرشة، دار الكتاب والسنة.

٩. من صور تكريم الإسلام للمرأة، محمد إبراهيم الحمد.

فهرس الموضوعات

كلمة رئيس الدائرة ٤
مقدمة ٦
نظرة سريعة لحال المرأة قبل مجيء الإسلام ١١
تكريم الإسلام للبنت ١٤
تكريم الإسلام للأخت ١٩
تكريم الإسلام للزوجة خصوصاً وللمرأة عموماً ٢٠
المرأة ناقصة عقل ودين.. هل يضرها ٣٠
قوامة الرجل ورعايته للمرأة ٣٣
مسألة ضرب الزوجة وما يثار حوله ٣٧
تعدد الزوجات ٤١
حقها من الميراث ٤٤
تكريم الإسلام للأم ٤٦
الخاتمة: ٥٠

* * *

06 / 5055888 Pin : 7E989171 0561888292

Islamic_affairs Islamic_affairs